

خطبة جمعة بعنوان :

فتح القيوم بذكر بعض أسباب زوال الهموم والغموم

للشيخ الفاضل

أبي عبد الله

عبد الرحمن بن عبد المجيد الشميري

حفظه الله

٢١ ربيع الآخر ١٤٤٣

مسجد الشميري تعز

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

أيها الناس، إن المؤمن في هذه الحياة الدنيا لابد أن تصيبه الهموم والغموم، وذلك لأن

هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان، ودار لابد أن يجد الإنسان فيها الهموم والغموم وإن كان في

عيشة لذيدة، وإن كان في عيشة هنيئة، إلا أنها لابد أن تكدر هذه العيشة، وهذه اللذة، وذلك

لحكم عظيمة يريد بها الله سبحانه وتعالى، أولاً المؤمن ينال بذلك الخيرات، وينال بذلك

تكفير السيئات، والأجور العظيمة عند الله سبحانه وتعالى، والدرجات العالية، ويضاف إلى

ذلك أن هذه الهموم والغموم وهذه المنغصات في هذه الدنيا تجعل المؤمن يلجأ إلى الله

سبحانه وتعالى ويتضرع إليه وينكسر بين يديه، فيحصل له بذلك الراحة القلبية، واللذة

العظيمة، والطمأنينة في قلبه الشيء العظيم الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، هذه

المنغصات عباد الله التي تمر على المؤمن في الدنيا من حكم الله عز وجل فيها أن المؤمن يعرف حقارة الدنيا، فيزهد فيها، ويقبل على الآخرة، الدار التي ليس فيها هم ولا حزن، كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥) ﴿[فاطر: ٣٥، ٣٤]

فهذه من الحكم التي جعلها الله عز وجل في الابتلاءات في هذه الدنيا، والهموم والغموم التي تصيب العبد المؤمن في هذه الدار، وإنني إن شاء الله تعالى في هذه الخطبة سوف أتكلم عن بعض أسباب زوال الهم والغم المذكورة في القرآن والسنة. فمن ذلك الإيمان والعمل الصالح، فإنه من أعظم ما يزيل عنك الهموم والغموم يا عبد الله، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٧) ﴿[النحل: ٩٧]

فهذا وعد من الله سبحانه وتعالى لا يخلف، أن من حقق الإيمان والعمل الصالح فسيحييه الله عز وجل حياة طيبة، حياة السعداء، حتى وإن كان من الفقراء، حتى وإن كان من المساكين، حتى وإن كان من أصحاب الأمراض والأسقام، هذا وعد الله لا يخلف، روى الإمام مسلم من حديث صهيب رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

فالعبد المؤمن هو على خير في كل حال، إن كان في سراء فهو على خير لأنه شاكر لله جل وعلا، وإن كان في ضراء فهو على خير لأنه صابر، فالمؤمن على خير، مهما كان في هذه الدنيا. ومن أسباب زوال الهم والغم: أنك إذا استشعرت وعرفت عبد الله أن هذه الهموم وأن هذه الغموم التي تصيبك هي كفارة لذنوبك، وكفارة لسيئاتك، ويعطيك الله عز وجل عليها الأجور العظيمة، والثواب الجزيل، فإن هذا يفرح قلبك، وإن هذا يزيل همك وغمك، روى الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما، من حديث أبي هريرة، وأبي سعيد رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكَّهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»، البخاري (٥٦٤٢) واللفظ له، ومسلم (٢٥٧٣).

الله أكبر، الهموم والغموم تكفير للخطايا، نعم تكفير للخطايا، يقول بعض السلف: لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس.

فالله عز وجل يرحمنا بهذه المصائب، يرحمنا بهذه الهموم والغموم التي تمر علينا حتى نقدم على ربنا وقد كفر الله عز وجل عنا سيئاتنا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كان أحدهم أي الصالحين من قبلنا ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالعطاء، يفرحون بالبلاء لماذا ؟ لأنهم يرون أن فيه أجورا عظيمة، وإن فيه تكفيرا للسيئات، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَنْ**

يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ» أخرجه البخاري (٥٦٤٥)

ومن ذلك أن يصيبك بالهموم والغموم والأحزان.

كذلك أيضا من أسباب زوال الهم والغم عنك، أيها المسلم أن تعرف حقيقة هذه الدنيا، وأنها دار ابتلاء وامتحان، وأنها دار منغصات، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً، وإن أسرت يسيراً أحزنت كثيراً، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ - [آل عمران: ١٤٠].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]

فيوم لك ويوم عليك، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الدُّنْيَا سَجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»، رواه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٥٦). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فالدنيا سجن المؤمن، الدنيا دار ابتلاء، الدنيا دار الهموم والغموم، ولهذا إذا فارقتها المؤمن استراح، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما، من حديث أبي قتادة رضي الله تعالى عنه، قال: «مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِجَنَازَةٍ فَقَالَ: مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ فَقَالَ: الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالْدَوَابُّ:» البخاري رقم: (٦١٤٧)، ومسلم رقم: (٩٥٠).

الله أكبر، المؤمن يستريح إذا مات، المؤمن إذا أراد الله قبض روحه استراح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله عز وجل، ولا يعني هذا أن الإنسان إذا كان في هموم وغموم أنه يجوز له أن يتتحر وأن يقتل نفسه، فإن هذا من كبائر الذنوب، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عَذَّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه البخاري (٥٧٠٠) ومسلم (١١٠)، من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه،

ولكن المؤمن إذا أراد الله أن يقبض روحه فقبض روحه استراح، استراح من هذه المنكدات، ومن هذه المنغصات، ومن هذه الهموم والغموم الذي تمر عليه في الدنيا كذلك أيضا من أسباب زوال الهم والغم: الدعاء، فإنه من أعظم ما يدفع الله عز وجل به الهموم والغموم، أن تدعو الله عز وجل، وأن تتضرع إلى الله، وأن تلجأ إلى الله، ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]

فهو الذي يزيل الهموم والغموم، قال الله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. وقال الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقال الله: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥].

وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في صحيح البخاري (٦٣٦٩) عن أنس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو كثيرا بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ». هذا من دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكثير، اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، فالهم والحزن إذا تسلط على الإنسان أهلكه، وأتعبه ونكد عليه حياته، فادع ربك أن يزيل همك، وأن يزيل غمك، قال صلى الله عليه وآله وسلم كما في سنن أبي داود (٥٠٩٠) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، دعوات المكروب: «اللَّهُمَّ رَحِمَتِكَ أَرْجُو فلا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

وروى الحاكم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، قال أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ كَرْبٌ أَوْ بَلَاءٌ مِنْ بَلَايَا الدُّنْيَا دَعَا بِهِ يُفَرِّجُ عَنْهُ؟ فَقِيلَ لَهُ: بَلَى، فَقَالَ: دَعَاءُ ذِي النُّونِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ». وفي صحيح البخاري (٦٣٤٣) عن ابن عباس قال: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ».

وروى الإمام أحمد (٣٧١٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حُزْنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيبَ قَلْبِي، وَنورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا».

نعم عباد الله، ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها لأن الإنسان لا يخلو في هذه الدنيا من الهموم والغموم، فينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها حتى يقولها فيفرج الله همه، ويفرج الله غمه ويبدله فرحا، نعم عباد الله، اللجوء اللجوء إلى الله، والدعاء الدعاء فهو مفرج الهموم

والغموم والكروب سبحانه وتعالى، اللهم وفقنا لما تحب وترضى، وخذ بنواصينا للبر والتقوى.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين أما بعد:

أيها الناس، من أسباب زوال الهم والغم عباد الله: التوكل على الله عز وجل، والإعتماد عليه، والثقة به، وحسن الظن به، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] أي كافيه كل ما يهمله من أمر دينه ودنياه، توكل على الله يا أيها المهموم المغموم توكل على ربك، فالله سبحانه وتعالى سيكفيك ما أهمك.

وهكذا أيضاً من أسباب زوال الهم والغم: أن تكثر من ذكر الله عز وجل دائماً، في الليل والنهار، وأنت نائم وأنت مضطجع، وأنت جالس، وأنت قائم في طريقك، وفي جلوسك، وفي ممشاك، وفي جميع أحوالك، فإن ذكر الله عز وجل يزيل الله به الهموم والغموم، ويجعل القلب فرحاً مستبشراً مرتاحاً، يجد من اللذة ما الله به عليم، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى في

كتابه الكريم: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾ [الرعد: ٢٨، ٢٩]

فالقلوب تطمئن إذا ذكرت ربها، إذا ذكر الإنسان ربه اطمأن قلبه، وهدأ باله، وزال همه وغمه، وأبدل بدلا من ذلك الفرح والسرور، واللذة والحبور

وهكذا أيضا من أسباب زوال الهم والغم وبه نختم إن شاء الله، وهو من أعظمها: قراءة القرآن بتدبر، فإذا أصابك الهم والغم عبد الله فخذ المصحف واقرأ ما تيسر لك من كتاب الله عز وجل بتدبر، وتمعن، واستحضر المعاني، وتفكر في الآيات، فوالله إنه سينجلي همك، وسينجلي غمك، وستجد من اللذة والسرور والحبور ما الله به عليم، إن هذا القرآن ربيع القلوب، ونورها، وشفائها، شفاء الأبدان، وشفاء القلوب، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء، قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

ولا سيما أن تقرأ القرآن وأنت قائم تصلي لله عز وجل، لا سيما في جوف الليل، يقول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ [الحجر: ٩٧، ٩٩].

ولقد نعلم أنك يضيق صدرك يا أيها الرسول، ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فما المخرج من ضيق الصدر؟ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين، صلي لله، واقرأ القرآن في صلاتك، وتدبر ما تقول، واخشع في صلاتك، فإنه ينجلي ضيق صدرك، وينجلي همك وغمك، اللهم إنا نسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا

من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا
وجلاء أحزاننا وذهاب همنا وغمنا، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة
إنك أنت الوهاب، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء
الدين، اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، ربنا آتنا في
الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

فرغها أبو عبد الله زياد المليكي.